المحاضرة الخامسة

المسار النقدي لمدرسة المهجر

-الإطار النقدي للمدرسة:

لقد تبنّت **المدرسة النقدية المهجرية** مجموعة من المبادئ والآراء النقدية الأدبية الحديثة، بحيث يمكن أن نعثر عليها في كتاب – **الغربال** – لصاحبه " **ميخائيل نعيمة** " عام **1923**، من خلال مجموعة المقالات والدراسات النقدية الحديثة التي نشرها رواد هذه المدرسة في الصحف والمجلات المهجرية في تلك الفترة من تاريخ ميلاد المدرسة المهجرية. فالجزء الأول منها: تصدى لمفهوم الأدب والرواية التمثيلية والمقاييس الأدبية وللشعر والشاعر، أما الجزء الثاني: فكان عبارة عن مقدمات لكتب ودواوين شعرية من ذلك نقد ديوان " **الأرواح الحائرة** " **لنسيب عريضة**، ونقد ديوان " **القرويات**" للشاعر **القروي رشيد الخولي**، وكذا نقد بعض الأعمال الشعرية **لشوقي**. وعليه فإنه يمكن القول أن أهمية هذا الكتاب تكمن في أنه شكّل علامة بارزة في مسار الحركة النقدية الأدبية الحديثة، ذلك أنه: «مثّلَ ثورة عنيفة على القيم الشكلية البارزة التي وسمت الشعر العربي ردحا من الزمن، وجرت على ألسنة – النَّظامين – في العصر

الحديث سخيفة ممجوجة»[1]، ولعل من أهم **القضايا النقدية** التي تبنتها **المدرسة النقدية المهجرية** هي كالآتي:

1/ القضايا النقدية التجديدية للمدرسة:

لقد أشرنا سابقا إلى أن كتاب- **الغربال-لنعيمة**-يعد بمثابة **الدستور النقدي للمدرسة المهجرية**، من منطلق أنه حوى في دفتيه أهم الآراء والمبادئ النقدية الأدبية الحديثة. ففي الجزء الأول تعرض فيه – نعيمة – بالشرح والتحليل لأهم المقاييس الجديدة للأدب والنقد، أي تحديده للمنهجية النقدية التي تتناسب معه. وأما في الجزء الثاني فعمل فيه – نعيمة – على تمثل مختلف القضايا النقدية الجديدة على مجموعة من الأعمال الشعرية.

وبناء عليه فإن أهم القضايا النقدية الأدبية الحديثة التي أكد عليها – نعيمة – يمكن تلمسها في ثلاثة مقالات جاءت معنونة كالآتي: **الغربلة/ المقاييس الأدبية، نقيق الضفادع.** بحيث احتفى في الأول: بأهمية المنهجية النقدية الأدبية الانطباعية على اعتبار أنها تشكل إطارا أساسيا وصحيحا للحقيقة النقدية الأدبية، ذلك أنه لكل: « ناقد غربال، ولكل موازينه ومقاييسه، وهذه المقاييس والموازين ليست مسجلة لا في السماء ولا على الأرض ولا قوة تدعمها وتظهرها صادقة سوى قوة الناقد نفسه »[2]، وبالمقابل يبقى فعل النقد – حسب نعيمة – قائما على أساس القوة التمييزية التي يتملكها الناقد، ذلك أنه حامل لمسؤولية تربية

---

[1]– ابراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر، ص: 77.

[2]– ميخائيل نعيمة : الغربال، ص: 08، نقلا عن: إبراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر، ص: 78.

الأذواق، ومن ثم يتسنى له إبراز محاسن الجمال والقبح في الأعمال الأدبية، هذا بالإضافة إلى تأكيد – نعيمة – على ضرورة دراسة قضية الانتماء المباشر لصاحب العمل الأدبي، مما جعله في هذا السياق يفرق بين الأثر وصاحبه؛ ذلك أن الناقد لا يقوم **بغربلة الناس وطبائعهم**، بقدر ما يحاول **غربلة الأفكار/ الرؤى/ الأحاسيس/ الميول** وغيرها، ومن ثم يصبح النقد: « ضربا من الحرب بين الناقد والمنقود»[1]. وعليه فإن قضية **الناقد** قد شكلت ضمن المنهجية النقدية عند – نعيمة – **مقولة مفتاحية**، معتبرا إياه ضمن دائرة الإبداع الأدبي والنقدي " **فنانا بامتياز** "، مثله مثل المبدع الأدبي، ومن ثم فإن مهامه لا تنحصر فقط في تمحيص وتقويم وتثمين الأعمال الأدبية، بل على العكس إن وظيفته الأساسية تنحصر في الكشف عن مختلف جوانب الجمال للإبداع الأدبي من خلال توضيحها للقراء، وبالتالي فهو في جانب آخر يقوم بتهذيب أذواقهم الفنية والأدبية والفكرية أي: « تحليل نفسية الأديب عن طريق عمله، ووضع يده على طريق معالم الطريق الذي – سار فيه– يكفي ولو بشكل عام للوفاء برسالة النقد »[2]. مما يعني في جانب آخر أن الناقد لا يمكنه أن يحتوي الأعمال الأدبية احتواءً كليا، إلا إذا كان وفيا لرسالة النقد القائمة على مجموع المواهب الفكرية/ الأدبية/ الثقافية/ النقدية التي يقوم عليها في الكشف عن مواهب غيره المختلفة، ومن ثم إمكانية توجيهها توجيها فنيا ونقديا؛ لذلك لا يبقى عمل الناقد – وفق نعيمة – ينحصر: « في التمحيص والتثمين والترتيب، فهو مبدع ومُولد ومرشد،

---

[1]– **ميخائيل نعيمة : الغربال ، ص : 16، نقلا عن: إبراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر، ص: 79.**

[2]– **أحمد كمال زكي: دراسات في النقد الأدبي، دار الأندلس.ط2.بيروت.1980، ص:13.**

مثلما هو محمص ومثمن ومرتب، هو مبدع عندما يرفع النقاب في أثر ينقده عن جوهر لم يهتد إليه أحد حتى صاحب الأثر نفسه »[1].

وأما في المقالة الثانية المعنونة بـــ: " **المقايس الأدبية** " فلقد حدّدَ – نعيمة – فيها بعض المبادئ والمعايير لتكوينية الأدب، بحيث اعتبر أن هناك **أطرًا روحية** تبقى – إلى حدٍّ ما – مشتركة بين جميع الأفراد والجماعات في كل الأزمنة والأمكنة، ومن ثم أصبحت هذه الأطر الروحية كمقاييس ومعايير ثابتة لدراسة قيمة الأدب، ولعل من بعض هذه الأطر التي تتجلى فيها قضية الإفصاح عمّا ينتابنا من عوامل نفسية من قبيل: **الحب/ الكراهية، الحزن/ الفرح، اللذة/ الألم** وغيرها، أو ربما كحاجتنا إلى نور نهتدي به في هذه الحياة، وهو البحث عن الحقيقة القابعة في أنفسنا، أو كرغبتنا في تحصيل لموضعة الجميل في كل شيء، ذلك أنه في أرواحنا رغبات لا تنتهي في البحث عن الجمال أو على كل مظهر من مظاهر الجمال، أو حتى تجاهله من منطلق أنه لا يختلف فيه ذوقان، ولعل هذه بعض المقاييس الثابتة التي أكد عليها – نعيمة – والتي على أساسها يولد الأدب وينتعش فيما بعد، ومن ثم تصبح قيمته تقاس بمقدار ما يسد هذه الرغبات التي أشرنا إليها.

وأما في المقالة الثالثة المعنونة بـــ: " **نقيق الضفادع** "، حيث هاجم فيها رواد الاتجاه التقليدي المحافظ، مسلما / منطلقا من أن هذه المحافظة " عمياءٌ " بامتياز بحيث إنها قاتلة لكل تجديد للإبداع، هذا ما جعله يصفهم وينعتهم بـــ: " **نقيق**

---

[1]– ينظر: ابراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر، ص: 80.

الضفادع"، وهم في حالة الضجر ضد كل جديد أو حتى لدعوة قائمة على ضرورة تبسيط اللغة، لكي يتسنى لها نقل الفكر/ الإحساس/ الجمال من نفس مبدعة إلى أخرى متلقية، هذا بالإضافة إلى بعض القضايا التي أكد عليها – نعيمة – من قبيل " **قضية العروض** " التي أعطاها بعدًا تهكميًا وسُخريًا، من منطلق أنه سخر صراحة من بعض المقولات العروضية الخليلية، كالزحافات والعلل التي تمثلها الشعراء في شعرهم،معتبرًا أن: « لا الأوزان ولا القوافي من ضرورات الشعر مثلما أن المعابد والطقوس ليست من ضرورات الصلاة »[1]. هذا بالإضافة إلى قضية "مصدر/ جوهر الشعر" معتبرا أن منبعه " **النفس** " أما جوهره فهو" **التعبير**" عن مجريات الحياة الراهنة؛ ومن ثم: « فالشعر هو الذي يترل بفكري إلى أغوار تحتها أغوار ... إنه الشعر الذي تستأنس به روحي وتنفتح له براعيم الحياة داخلي »[2].

ومما سبق يمكن القول، أن هذه **القضايا النقدية الحديثة** التي اشتغل عليها **رواد المدرسة المهجرية**، لها مرجعياتها الفكرية والنقدية من مؤلف كتاب " **الغربال** "، بحيث كان الفضل لصاحبه؛ من أن تبنى منظومة مفهومية/ إجرائية نقدية حديثة شكلت علامة بارزة ضمن مسار الحركة النقدية الأدبية الحديثة.

---

[1]– ينظر:ميخائيل نعيمة: الغربال،ص:118/نقلا عن إبراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر،ص: 83.

[2]– ينظر:ميخائيل نعيمة: الغربال،ص:118/نقلا عن إبراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر،ص: 83.